الأربعون

في الصالحين والصالحات

محمد خير رمضان يوسف

المصمم:أسامة أنس يوسف

الأربعون
في الصالحين والصالحات

محمد خير رمضان يوسف

١٤٤٦ هـ

مقدمة

الحمد لله أهلِ التقوى والمغفرة، والصلاة والسلام على نبيِّ الرأفة والرحمة، وعلى آله وصحبه الكرامِ البررة.

طائفة من الأحاديث الشريفة في الصالحين والصالحات، بالإشارة إليهم، وتمجيد فعالهم، وإيراد صفات لهم، وبيان فضلهم، ومعنى صلاحهم، وسبب تلقيبهم به، وما يكونوا به صالحين، وجزاؤهم؛ انتقاء لا حصرًا. فليس هذا بحثًا في الصلاح والأعمال الصالحة، الذي لا يقتصر على لفظ (صلح) ومشتقاته، فإنه يكون أوسع وأشمل.

وقد بلغت أربعين حديثًا مخرَّجة، حسنة وصحيحة، مع شروح لها من مراجعها المعتبرة، نصًّا أو اختصارًا، والاقتصار على مكان الشاهد منها غالبًا، وما يستفاد منها.

ورتبت موضوعيًّا نوعَ ترتيب، ورقمت دون عناوين.

ويذكر العلماء أن العبد الصالح هو القائم بحقوق الله، وحقوق العباد. وهو تعبير شامل، يتضمن ما يصلحُ به الإنسان ويستقيم دنيا وآخرة.

اللهم اجعل نصيبنا من هذا الكتاب الصلاحَ والتقوى، لمن أعدَّه، وقرأه، وعمل به، أو ببعضه، ووعاه قلبه، أو حفظه، وأشار إليه، أو وزَّعه، ونشره، ونصح به.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا}.

اللهم اهدنا لأحسن الطاعات والأعمالِ الصالحات.

وأعنّا على عبادتك، وإقامةِ الصلاة لذكرك.

وأدخلنا جنتك مع الذين أنعمتَ عليهم {مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا}.

ولك الحمدُ يا ربي حتى ترضى.

محمد خير يوسف

١٣ شعبان ١٤٤٦ هـ، ٢٠٢٥ م

إستانبول

(١)

عن مالك بن صعصعة: أن نبيَّ الله ﷺ حدَّثَهم عن ليلةَ أُسريَ به: **ثم صَعِدَ حتى أتى السماءَ الثانية، فاستَفْتَح، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمَّد، قيل: وقد أُرسِلَ إليه؟ قال: نعم. فلمّا خَلَصْتُ فإذا يحيى وعيسى، وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلِّمْ عليهما، فسلَّمتُ فردًا، ثم قالا: مرحبًا بالأخِ الصالح، والنبيِّ الصالح.**

صحيح البخاري (٣٤٣٠).

الأخ الصالح: وكذا قال له نبي الله إدريس عليه السلام عند لقائه، قال الإمام النووي: يحتمل أن يكون قاله تلطفًا وتأدبًا، وهو أخ وإن كان ابنًا، فالأنبياء إخوة، والمؤمنون إخوة.

شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٢٠).

النبي الصالح: قيل: اقتصر الأنبياء على وصفه بهذه الصفة وتواردوا عليها لأن الصلاح صفة تشمل خلال الخير، ولذلك كررها كل منهم عند

كل صفة. والصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد، فمن ثم كانت كلمة جامعة لمعاني الخير.

فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢١٠)، كما ينظر عمدة القاري (٤/ ٤٣).

قال ابن بطال رحمه الله: فكذلك يحب أن يلاقى المرء بأحسن صفاته وأعمها بجميل الثناء عليه؛ ألا ترى أن كلهم قال له: (الصالح) لشمول الصلاح على سائر الخلال الممدوحة من الصدق، والأمانة، والعفاف، والصلة، والفضل، ولم يقل أحد: مرحبًا بالنبي الصادق الأمين وما شاكله؛ لشمول الصلاح وعمومه لسائر خلال الخير.

شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ١٢).

(٢)

عن شقيق بن سلمة قال: قال النبيُّ ﷺ:

"**إذا صلَّى أحدُكم فليقل: التحياتُ لله والصلواتُ والطيبات، السلامُ عليكَ أيها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، السلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصالحين، – فإنكم إذا قلتُموها أصابتْ كلَّ عبدٍ لله صالحٍ في السماءِ والأرضِ – أشهدُ ألّا إله إلا الله وأشهدُ أن محمدًا عبدهُ ورسولُه** ".

صحيح البخاري (٨٣١).

وفي رواية أخرى لابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا التشهدَ كما يعلِّمنا السورةَ من القرآن، فكان يقول: "**التحياتُ المباركات، الصلواتُ الطيباتُ لله، السلامُ عليكَ أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُه، السلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصالحين، أشهدُ ألّا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا رسولُ الله**".

صحيح مسلم (٤٠٤).

السلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصالحين: الصالح هو القائم بما عليه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد، والصلاح هو استقامة الشيء على حالة كماله، كما أن الفساد ضده.

ولا يحصل الصلاح الحقيقي إلا في الآخرة؛ لأن الأحوال العاجلة وإن وُصفت بالصلاح في بعض الأوقات، لكن لا تخلو من شائبة فساد وخلل، ولا يصفو ذلك إلا في الآخرة، خصوصًا لزمرة الأنبياء؛ لأن الاستقامة التامة لا تكون إلا لمن فاز بالقدح المعلَّى، ونال المقام الأسنى. ومن ثم كانت هذه المرتبة مطلوبة للأنبياء والمرسلين. قال الله تعالى في حق الخليل: {وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [سورة النحل: ١٢٢]،

وحكى عن يوسف عليه الصلاة والسلام أنه دعا بقوله: {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [سورة يوسف: ١٠١].

عمدة القاري (٦/ ١١٢).

من أراد أن يحظى بهذا السَّلام الذي يسلِّمهُ الخلق في صلاتهم فليكن عبدًا صالحًا، وإلا حُرم هذا الفضل العظيم.

ينبغي للمصلي أن يستحضر في هذا المحل جميع الأنبياء والملائكة والمؤمنين.

تارك الصَّلاة يضر بجميع المسلمين؛ لإخلاله بذكر السَّلام عليهم.

التوشيح شرح الجامع الصحيح (٢/ ٧٩٤) مختصرًا.

(٣)

عن أبي هريرة قال: قال النبيُّ ﷺ:

"**إذا أَوى أحدُكم إلى فِراشهِ فليَنفُضْ فِراشَهُ بداخلةِ إزاره، فإنه لا يدري ما خلَفَهُ عليه، ثم يقول: باسمِكَ ربِّ وضعتُ جنبي وبكَ أرفعُه، إنْ أمسكتَ نفسي فارحمها، وإنْ أرسلتَها فاحفَظها بما تحفظُ به عبادكَ الصالحين**".

صحيح البخاري (٦٣٢٠)، صحيح مسلم (٢٧١٤) واللفظ للأول.

بداخِلَةِ إزاره: أي بالجانب الذي يَلي الجسد؛ ليَسقُطَ ما فيه من ترابٍ وغيره.

قيَّدَ النفضَ بإزاره لأن الغالبَ في العرب لم يكن له إزارٌ أو ثوبٌ غيرَ ما عليهم.

وقيَّده بداخلة الإزار ليبقي الخارجة نظيفة، أو لأن هذا أيسر، ولكشفِ العورة أقلّ.

وإنما قال هذا لأن رسمَ العرب تركُ الفراش في موضعه ليلًا ونهارًا.

شرح المصابيح لابن الملك (٣/ ١٦٧).

فاحفظها: لأنه تعالى إنما يحفظ عباده الصالحين من المعاصي، وألّا يَهِنوا في طاعته بتوفيقه.

وفيه ندب هذه الأذكار عند الأوي إلى الفراش؛ ليكون نومه على ذكر، وتُختم يقظته بعبادة.

فيض القدير للمناوي (١/ ٣٠٩).

وفي الجملة، فإن الله عزَّ وجلَّ يحفظ على المؤمن الحافظِ لحدود دينه، ويحولُ بينه وبين ما يُفسد عليه دِينَه بأنواعٍ من الحفظ، وقد لا يشعر

العبد ببعضها، وقد يكون كارهًا له، كما قال في حقِّ يوسف عليه السلام: {كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [سورة يوسف: ٢٤].

جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦٩).

(٤)

عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي أمامة، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: "**عليكم بقيامِ الليل، فإنه دأبُ الصالحين قبلَكم، وهو قُربةٌ إلى ربِّكم، ومَكْفَرَةٌ للسيئات، ومَنهاةٌ للإثم**".

صحيح ابن خزيمة (١١٣٥)، سنن الترمذي (٣٥٤٩) وقال: هذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال، المستدرك على الصحيحين للحاكم (١١٥٦) وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٤٣١٨). وحسَّن إسناده الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء. وقال في صحيح الترغيب (٦٢٤): حسن لغيره.

دأب الصالحين: ما يواظبون عليه ويأتون به في أكثر أحوالهم، والمراد بهم الأنبياء والأولياء... وفيه تنبيه على أنكم أولى بذلك، فإنكم خير الأمم.

وإيماءٌ إلى أن من لا يقوم الليل ليس من الصالحين الكاملين، بل بمنزلة المزكَّى علنًا لا سرًّا، والله أعلم بأسراره.

مرقاة المفاتيح (٣/ ٩٢٧).

(٥)

عن عبيد بن رفاعة الزرقي قال:

لما كان يومُ أُحدٍ وانكفأَ المشركون، قال رسولُ الله ﷺ: "**استَووا حتى أثنيَ على ربي**".

فصاروا خلفَهُ صفوفًا، فقال: "**اللهمَّ لكَ الحمدُ كلُّه، اللهمَّ لا قابضَ لما بسطت، ولا باسطَ لما قبضت، ولا هاديَ لما أضللت، ولا مضلَّ لمن هديت، ولا معطيَ لما منعت، ولا مانعَ لما أعطيت، ولا مقرِّبَ لما باعدت، ولا مباعدَ لما قرَّبت.**

اللهمَّ ابسطْ علينا من بركاتِكَ ورحمتِكَ وفضلِكَ ورزقك.

اللهمَّ إني أسألُكَ النعيمَ المقيمَ الذي لا يحولُ ولا يزول، اللهمَّ إني أسألُكَ النعيمَ يومَ العَيْلة، والأمنَ يومَ الخوف.

اللهمَّ إني عائذٌ بكَ من شرِّ ما أعطيتنا وشرِّ ما منعت.

اللهمَّ حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزيِّنهُ في قلوبنا، وكرِّهْ إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهمَّ توفَّنا مسلمين، وأحيِنا مسلمين، وألحِقنا بالصالحين، غيرَ خزايا ولا مفتونين.

اللهمَّ قاتلِ الكفرةَ الذين يكذِّبون رسلَك، ويصدُّون عن سبيلك، واجعلْ عليهم رجزكَ وعذابك، اللهمَّ قاتلِ الكفرةَ الذين أُوتوا الكتابَ إلهَ الحقّ".

مسند أحمد (١٥٤٩٢) وقال محققه الشيخ شعيب: رجاله ثقات. ورواه البخاري في الأدب المفرد (٦٩٩)، وصححه له في صحيح الأدب المفرد (٥٣٨)، والحاكم في المستدرك (٤٣٠٨) قال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. واللفظ للأول.

العَيلة: الفقر.

(٦)

عن سعد بن أبي وقاص:

أن رجلًا جاءَ إلى الصلاةِ ورسولُ الله ﷺ يصلّي لنا، فقال حين انتهى إلى الصف: اللهمَّ آتِنِي أفضلَ ما تؤتي عبادكَ الصالحين.

فلما قضى رسولُ الله ﷺ قال: "**من المتكلمُ آنفًا**"؟

قال الرجل: أنا يا رسولَ الله.

قال: "**إذًا يُعْقَرُ جوادُك، وتُستَشْهَدُ في سبيلِ الله**".

سنن أبي داود (٤٥٣)، السنن الكبرى للنسائي (٩٨٤١)، صحيح ابن خزيمة (٤٥٣)، صحيح ابن حبان (٤٦٤٠) قال الشيخ شعيب: محمد بن مسلم بن عائذ ذكره المؤلف في "الثقات"، وقال أبو حاتم: مجهول، وقال العجلي: ثقة، وأخرج حديثه ابن خزيمة والحاكم، وباقي السند رجاله رجال الصحيح. اهـ. المستدرك على الصحيحين للحاكم (٧٤٨) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الحافظ الهيثمي: روي بإسنادين، وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح، خلا محمد بن مسلم بن عائذ وهو ثقة. مجمع الزوائد (٢٩٧/٥). وحسنه ابن حجر العسقلاني في نتائج الأفكار (٣٧٨/١).

وإذا كان من هُرق دمه وعُقر جواده أفضل الشهداء، عُلم أنه من لم يكن بتلك الصفة فهو مفضول.

قال هذا ابن عبدالبرّ لحديث: أيُّ الجهادِ أفضل؟ قال: "من عُقِرَ جوادُهُ وأهريقَ دمُه"، الذي أخرجه أحمد وغيره بإسناد صحيح.

ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ٢٣٧).

(٧)

عن أنس بن مالك:

أن الحبشةَ كانوا يَزفِنون بين يدَي رسول الله ﷺ، ويتكلمون بكلامٍ لا يفهمه، فقال رسولُ الله ﷺ: "**ما يقولون**"؟

قالوا: محمدٌ عبدٌ صالح.

صحيح ابن حبان (٥٨٧٠) واللفظ له، مسند أحمد (١٢٥٤٠) وقال محققهما: إسناده صحيح على شرط مسلم.

يزفنون: معناه يرقصون. وحمله العلماء على التوثب بسلاحهم ولعبهم بحرابهم على قريب من هيئة الراقص؛ لأن معظم الروايات إنما فيها لعبهم بحرابهم، فيتأول هذه اللفظة على موافقة سائر الروايات.

شرح النووي على مسلم (٦/ ١٨٦).

(٨)

عن عبدالله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة المائدة: ٩٣] قال لي رسولُ الله ﷺ: "**قيل لي: أنت منهم**".

صحيح مسلم (٢٤٥٩).

قوله ﷺ "قيل لي أنت منهم": الخطاب لابن مسعود، أي: أُوحي إليّ أنك يا ابن مسعود من الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وهذه تزكية عظيمة، ودرجة رفيعة، قلَّ من ظفر بمثلها!

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٣٧١).

(٩)

عن ابن عمر قال:

رأيتُ في المنامِ كأنَّ في يدِي قطعةَ إستبرق، وليس مكان أريدُ من الجنةِ إلا طارت إليه.

قال: فقصصتهُ على حفصة، فقصَّتهُ حفصةُ على النبيِّ ﷺ، فقالَ النبي ﷺ:

"**أرى عبدَالله رجلًا صالحا**".

صحيح مسلم (٢٤٧٨)، صحيح البخاري (٣٧٤٠) ولفظه فيه: "إن عبدالله رجلٌ صالح".

الإستبرق: ما غلظ من الحرير.

أي: أعلَمُه واعتقدهُ صالحًا. والصالح هو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد.

وهذه شهادة من النبي ﷺ لعبدالله بالصلاح.

شرح النووي على مسلم (١٦/ ٣٨)، ثم المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٤٠٩).

(١٠)

وفي رؤيا أخرى له قالَ عليه الصلام والسلام:

"**إن عبدَالله رجلٌ صالحٌ لو كان يصلِّي من الليل**".

فقال نافع (مولاه): فلم يزلْ بعد ذلك يُكثِرُ الصلاة.

صحيح البخاري (٧٠٢٩).

(١١)

عن عائشة قالت: أرقَ رسولُ ﷺ ذاتَ ليلة، فقال:

"**ليتَ رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة**".

قالت: وسمعنا صوتَ السلاح، فقالَ رسولُ الله ﷺ: "**من هذا**"؟

قال سعد بن أبي وقاص: يا رسولَ الله، جئتُ أحرسك.

قالت عائشة: فنامَ رسولُ الله ﷺ حتى سمعتُ غطيطه.

صحيح البخاري (٧٢٣١)، صحيح مسلم (٢٤١٠) واللفظ له.

قال ابن حجر رحمه الله:

في الحديث الأخذ بالحذر، والاحتراس من العدوّ، وأن على الناس أن يحرسوا سلطانهم خشية القتل.

وفيه الثناء على من تبرع بالخير وتسميته صالحًا.

وإنما عانى النبي ﷺ ذلك مع قوة توكله للاستنان به في ذلك، وقد ظاهر بين درعين، مع أنهم كانوا إذا اشتدَّ البأس كان أمام الكل.

وأيضًا فالتوكل لا ينافي تعاطي الأسباب؛ لأن التوكل عمل القلب، وهي عمل البدن.

فتح الباري (٦/ ٨٢).

(١٢)

عن عمرو بن العاص قال: قال رسولُ الله ﷺ:

"**يا عمرو، نعمَ المالُ الصالحُ مع الرجلِ الصالح**".

صحيح ابن حبان (٣٢١٠) قال محققه الشيخ شعيب: إسناده قوي على شرط مسلم، وقال في مسند أحمد (١٧٧٦٣): إسناده صحيح على شرط مسلم. ورواه أبو يعلى في مسنده (٧٣٣٦) وقال المحقق حسين أسد: إسناده صحيح، كما رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)، وصححه في صحيح الأدب المفرد (٢٢٩)، المستدرك للحاكم (٢١٣٠) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. واللفظ لابن حبان.

مما قاله المظهري رحمه الله:

من أدَّى حقوق المال، ولا يحتقر الناس، ولا يفخر عليهم، ولا يشتغل بجمع المال بحيث تفوت عنه طاعة، ويحسن إلى الناس، فماله خير له، كما قال ﷺ: "نعمَ المالُ الصالحُ للرجلِ الصالح". فإذا عرفت هذا فقد عرفت أن الخير والشرَّ لا يحصلان للرجل من عين المال، بل نفسُ الرجل هي التي تصرف المال فيما فيه خير له، أو فيما فيه شر له.

المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٢٧٨).

(١٣)

عن جابر بن عبدالله رضيَ الله عنهما، قال: قال النبيُّ ﷺ حين ماتَ النجاشي:

"**ماتَ اليومَ رجلٌ صالح، فقوموا فصلُّوا على أخيكم أصحمة**".

صحيح البخاري (٣٨٧٧).

وكان النجاشي آمن بالرسول ﷺ على يد جعفر بن أبي طالب، وأخذ عمن هاجر إليه من أصحابه، فآواهم، وأسرَّ إيمانه لمخالفته الحبشة له، فلما مات نعاه النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه، وهو من علامات نبوته.

التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٩/ ٤١٥).

والنجاشي لقب ملوك الحبشة، وأصحمة بمعنى عطية.

(١٤)

عن أنس بن مالك، أن رسولَ الله ﷺ قال:

"**الرؤيا الحسنةُ من الرجلِ الصالح، جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جزءًا من النبوة**".

صحيح البخاري (٦٩٨٣)، صحيح مسلم (٨/٢٢٦٤)، واللفظ للأول.

معنى كونها جزءًا من أجزاء النبوة على سبيل المجاز، وهو أنها تجيء على موافقة النبوة، لا أنها جزء باق من النبوة، لأن النبوة انقطعت بموته ﷺ.

أو أنها تشابهها في صدق الإخبار عن الغيب.

وأما تخصيص عدد الأجزاء وتفصيلها، فمما لا مطلع لها عليه، ولا يعلم حقيقته إلا نبي أو ملَك.

التوشيح شرح الجامع الصحيح (٩/ ٤٠٨٩) مختصرًا.

وفي هذا الحديث دليل على أن الرؤيا الصالحة بشرى من الله دون الرؤيا السيئة.

الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٢٦٨).

(١٥)

عن عبدالله بن عباس قال:

كشفَ رسولُ الله ﷺ السترَ ورأسهُ معصوب، في مرضهِ الذي ماتَ فيه، فقال:

"**اللهمَّ هل بلَّغت** - ثلاثَ مراتٍ - **إنه لم يبقَ من مبشِّراتِ النبوةِ إلا الرؤيا يراها العبدُ الصالح، أو تُرَى له**".

صحيح مسلم (٤٧٩)، صحيح ابن حبان (٦٠٤٦) قال المحقق الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم. واللفظ للأول.

مبشرات النبوة: أول ما يبدو منها، مأخوذ من تباشير الصبح وبشائره، وهو أول ما يبدو منه.

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٨٦).

ومما قاله ابن حجر في هذا منعًا للالتباس: المراد تشبيه أمر الرؤيا بالنبوة، أو لأن جزء الشيء لا يستلزم ثبوت وصفه له، كمن قال: أشهد ألّا إله إلا الله، رافعًا صوته، لا يسمَّى مؤذنًا، ولا يقال إنه أذَّن، وإن كانت جزءًا من الأذان. وكذا لو قرأ شيئًا من القرآن وهو قائم لا يسمَّى مصلِّيًا، وإن كانت القراءة جزءًا من الصلاة.

فتح الباري (١٢/ ٣٧٥).

(١٦)

عن عبدالله بن عباس، أن نبيَّ الله ﷺ قال:

"إن الهديَ الصالح، والسمتَ الصالح، والاقتصاد، جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءًا من النبوة".

سنن أبي داود (٤٧٧٦)، مسند أحمد (٢٦٩٨) قال الشيخ شعيب في تخريجه في الموضعين: حديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف، قابوس بن أبي ظبيان لين، وباقي رجاله ثقات.

لكن قال في مجمع الزوائد (٩٣/٨): فيه قابوس بن أبي ظبيان وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح. وحسنه في صحيح الجامع (١٩٩٢، ١٩٩٣).

قال الخطابي رحمه الله: هديُ الرجل حاله ومذهبه، وكذلك سمته. وأصل السمت الطريق المنقاد. والاقتصاد سلوك القصد في الأمر، والدخول فيه برفق، وعلى سبيل يمكن الدوام عليه، كما روي أنه قال: "خير الأعمال أدومها وإن قلّ" [صحيح ابن ماجه (٣٤٣٧) بلفظ: خير العمل أدومه وإن قلّ].

يريد أن هذه الخلال من شمائل الأنبياء صلوات الله عليهم، ومن الخصال المعدودة من خصالهم، وأنها جزء من أجزاء فضائلهم، فاقتدوا بهم فيها، وتابعوهم عليها.

وليس معنى الحديث أن النبوة تتجزأ، ولا أن من جمع هذه الخلال كان فيه جزء من النبوة مكتسبة ولا مجتلبة بالأسباب، وإنما هي كرامة من الله سبحانه، وخصوصية لمن أراد إكرامه بها من عباده، والله يعلم حيث يجعل رسالاته، وقد انقطعت النبوة بموت محمد ﷺ.

وفيه وجه آخر، وهو أن يكون معنى النبوة هاهنا ما جاءت به النبوة ودعت إليه الأنبياء صلوات الله عليهم. يريد أن هذه الخلال جزء من

خمسة وعشرين جزءاً مما جاءت به النبوات ودعا إليه الأنبياء صلوات الله عليهم.

وقد أُمرنا باتباعهم في قوله عزَّ وجلّ: {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [سورة الأنعام:٩].

وقد يحتمل وجهاً آخر، وهو أن من اجتمعت له هذه الخلال لقيه الناس بالتعظيم والتوقير، وألبسه الله لباس التقوى الذي يلبسه أنبياؤه، فكأنها جزء من النبوة. والله أعلم.

معالم السنن (٤/ ١٠٦).

ومما قاله الملا علي القاري رحمه الله: الهدي الصالح: السيرة الحسنة، والسمت الصالح: الطريقة المستحسنة من زيِّ الصالحين، وحاصل الفرق بينهما أن الهدي متعلق بالأحوال الباطنة، والسمت بالأخلاق الظاهرة، فهما في الطريقة بمنزلة الإيمان والإسلام في الشريعة، والجمع بينهما نور على نور، وبه تتم الحقيقة.

مرقاة المفاتيح (٨/ ٣١٦٥) باختصار.

(١٧)

عن عبدالله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال:

"**الدنيا متاع، وخيرُ متاعِ الدنيا المرأةُ الصالحة**".

صحيح مسلم (١٤٦٧).

يعني مال الدنيا خُلق لبني آدم لينتفعوا به، وخيرُ ما ينتفع به الرجل المرأة الصالحة، فإنه يتلذذ منها، وتكون له سكنًا وأنيسًا، وتحفظ عينه وفرجه من الحرام، وتعينه على دينه، بأن تمنعه عن الكَلِّ في الطاعات، ويحصل له منها أولاد يطيعون الله، وتزيد بهم أمة محمد ﷺ، فأي متاع من أمتعة الدنيا يكون نفعها مثل نفع المرأة الصالحة؟

المفاتيح في شرح المصابيح (٤/ ٩).

وقال الأكمل: المراد بالصالحة التقية المصلحة لحال زوجها في بيته، المطيعة لأمره. وفيه إيماء إلى أنها أطيب حلال في الدنيا..

التنوير شرح الجامع الصغير (٦/ ١٤١).

(١٨)

عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ:

"أربعٌ من السعادة: المرأةُ الصالحة، والمسكنُ الواسع، والجارُ الصالح، والمركبُ الهنيء.

وأربعٌ من الشقاوة: الجارُ السوء، والمرأةُ السوء، والمسكنُ الضيق، والمركبُ السوء".

صحيح ابن حبان (٤٠٣٢) قال محققه الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط البخاري، وفي السلسلة الصحيحة (٢٨٢): إسناده صحيح على شرط الشيخين، ورواه الحاكم في المستدرك (٢٦٤٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وشطره الأول في الأدب المفرد (٤٥٧) من رواية أخرى.

المرأة الصالحة هي الديّنة العفيفة، القائمة بحقوق الله، وحقوق العباد.

(١٩)

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال:

"خيرُ نساءٍ ركبنَ الإبلَ صالحُ نساءِ قريش، أحناهُ على ولدٍ في صغره، وأرعاهُ على زوجٍ في ذاتِ يده".

صحيح البخاري (٥٠٨٢)، صحيح مسلم (٢٥٢٧). ولفظهما سواء.

فيه فضيلة نساء قريش، وفضل هذه الخصال، وهي الحنوة على الأولاد، والشفقة عليهم، وحسن تربيتهم، والقيام عليهم إذا كانوا يتامى. ونحو ذلك مراعاة حق الزوج في ماله، وحفظه، والأمانة فيه، وحسن تدبيره في النفقة وغيرها، وصيانته، ونحو ذلك.

ومعنى ركبن الإبل: نساء العرب؛ ولهذا قال أبو هريرة في الحديث: لم تركب مريم بنت عمران بعيرًا قط. والمقصود أن نساء قريش خير نساء العرب..

شرح النووي على مسلم (١٦/ ٨٠).

لكن المقصود الصالحات منهن، وليس كلهن، كما في نص الحديث، قال المناوي رحمه الله: المحكوم له بالخيرية الصالحةُ منهن، لا على العموم، والمراد صلاحُ الدين، وحسنُ معاشرة الزوج، ونحوُ ذلك.

التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٥٣٢).

(٢٠)

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"مَثَلُ الجليسِ الصالحِ والجليسِ السُّوء، كمثَلِ صاحبِ المسكِ وكِيرِ الحدَّاد، لا يَعْدَمُكَ مِن صاحبِ المسكِ إمّا تشتريه، أو تجدُ ريحَه، وكيرُ الحدَّادِ يُحرقُ بدنَك، أو ثوبَك، أو تجدُ منه ريحًا خبيثة".

صحيح البخاري (٢١٠١، ٥٥٣٤) واللفظ من الموضع الأول، صحيح مسلم (٢٦٢٨).

قال ابن بطال رحمه الله: خرج كلامه عليه السلام في هذا الحديث على المثَل في النهي عن مجالسة من يُتأذَّى بمجالسته، كالمغتاب، والخائض في الباطل، والندبِ إلى مجالسة من يُنال في مجالسته الخير، من ذكرِ الله تعالى، وتعلمِ العلم، وأفعالِ البرِّ كلِّها.

شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٢٣٢).

(٢١)

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"مَثَلُ الجليسِ الصالحِ مثَلُ العطَّار، إنْ لم يُعطِكَ مِن عطره - أو قال: إن لم تُصِبْ من عطرِهِ - أصابكَ من ريحه".

المستدرك على الصحيحين للحاكم (٧٧٤٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وصححه في صحيح الجامع (٥٨٢٨). ويأتي بلفظ مقارب جزءًا من حديث في رواية أبي موسى عند أحمد (١٩٦٢٤) قال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

مقصوده: الإرشاد إلى مجالسة من يُنتفع بمجالسته، في نحوِ دين، أو حُسنِ خلق، والتحذيرُ من ضدِّه.

قال بعض العارفين: في ضمنه إرشاد إلى الأمر بمجالسة مَن تنتفع بمجالسته في دينك، من علمٍ تستفيده، أو عملٍ يكون فيه، وأحسنِ خُلق يكون فيه، وأحسنِ خُلق يكون عليه، فإن الإنسان إذا جالس مَن تذكِّرهُ مجالستهُ الآخرةَ فلا بدَّ أن ينال منه بقدر ما يوفقه الله بذلك...

التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٧١) فيض القدير للمناوي (٥/ ٥٠٧).

وقال الكشميري رحمه الله في أماليه: حاصله أن تأثير المجالسة كائنٌ لا محالة، قُصدت، أو لم تُقصد، كحامل المسك، فإنَّ ريحَه تصيبُه لا محالة.

فيض الباري على صحيح البخاري (٥/ ٦٦٦).

(٢٢)

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ:

"**للعبدِ المملوكِ الصالحِ أجران**".

والذي نفسي بيده، لولا الجهادُ في سبيلِ الله، والحجُّ، وبرُّ أمِّي، لأحببتُ أن أموتَ وأنا مملوك.

صحيح البخاري (٢٥٤٨).

قال ابن حجر رحمه الله:

اسم الصلاح يشمل ما تقدم من الشرطين، وهما: إحسان العبادة، والنصح للسيد، ونصيحة السيد تشمل أداء حقه من الخدمة وغيرها.

فتح الباري لابن حجر (٥/ ١٧٥).

(٢٣)

عن أبي سلمى راعي رسولِ الله ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٦٩٢)

"بخٍ بخٍ بخمسٍ ما أثقلهنَّ في الميزان: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبر، والولدُ الصالحُ يُتوَفَّى للمسلمِ فيَحتسبُه".

السنن الكبرى للنسائي (٩٩٢٣)، المستدرك على الصحيحين (١٨٨٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، صحيح ابن حبان (٨٣٣) وصحح الشيخ شعيب إسناده، وقال في مسند أحمد (١٥٦٦٢): حديث صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح. كما صححه في صحيح الجامع (٢٨١٧)، وفي السلسلة الصحيحة (١٢٠٤). واللفظ من المستدرك.

بخ بخ: كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء، وتكرر للمبالغة... ومعناها تعظيم الأمر وتفخيمه.

والولد الصالح: لعل هذا مراد به موت المكلَّفين من الأولاد؛ لأنه الذي يتصف بالإسلام والصلاح حقيقة، فهذه البشرى غير البشرى التي في أحاديث موت الأطفال الذين لم يبلغوا الحنث، فإن تلك تندب بهذا القيد، وهي عبارة عن بلوغ سن التكليف.

يتوفَّى للمرء المسلم فيحتسبه: قال الديلمي: الاحتساب أن يحتسب الرجل الأجرَ بصبره على ما مسَّه من حرقة المصيبة.

التنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ٥٣٧) مختصرًا.

(٢٤)

عن أبي هريرة، أن رسولَ الله ﷺ قال:

"**إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عملهُ إلّا من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**".

صحيح مسلم (١٦٣١).

معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له، إلا في هذه الأشياء الثلاثة؛ لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلَّفه، من تعليمٍ أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية، وهي الوقف.

وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح..

وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه، وبيان فضيلة العلم، والحثِّ على الاستكثار منه، والترغيبِ في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع.

وفيه أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت، وكذلك الصدقة، وهما مجمع عليهما، وكذلك قضاء الدَّين...

شرح النووي على مسلم (١١/ ٨٥).

(٢٥)

عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ:

"إن الله عزَّ وجلَّ ليرفعُ الدرجةَ للعبدِ الصالحِ في الجنة، فيقول: يا ربّ، أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفارِ ولدِكَ لك".

مسند أحمد (١٠٦١٠) وحسن محققه الشيخ شعيب إسناده. كما حسنه في صحيح الجامع (١٦١٧)، وفي السلسلة الصحيحة (١٥٩٨).

الولد يطلق على الذكر والأنثى، المراد به المؤمن.

وهذا أحد منافع النكاح وأعظمها، وأحدُ الأشياء التي تلحق المؤمن من حسناته وعمله بعد موته كما جاء في الحديث.

قال الطيبي: دلَّ الحديث السابق على أن الاستغفار يحطُّ من الذنوب أعظمَها، وهذا يدلُّ على أنه يرفع درجة غير المستغفر إلى ما يبلغها

بعمله، فما ظنك بالعامل المستغفر؟ ولو لم يكن في النكاح فضيلة غير هذا لكفى به فضلاً.

مرعاة المفاتيح (٨/ ٦١).

(٢٦)

عن عائشة:

أن النبيَّ ﷺ طرقَهُ وجعٌ، فجعلَ يشتكي ويتقلَّبُ على فِراشه، فقالت له عائشة: لو صَنعَ هذا بعضُنا لوجدتَ عليه.

فقال النبي ﷺ: "**إنَّ الصالحين قد يُشدَّدُ عليهم، وإنه لا يصيبُ مؤمنًا نكبةٌ، من شوكةٍ فما فوقها، إلا حُطَّتْ عنه بها خطيئة، ورُفِعَ له بها درجة**".

مسند أحمد (٢٥٢٦٤) قال محققه الشيخ شعيب: إسناده صحيح، رجاله ثقات، صحيح ابن حبان (٢٩١٩) قال محققه في تخريجه: محمد بن خلف الداري روى عن جمع، وروى عنه جمع، وهو من رجال أبي داود، ومعمر بن يعمر روى عنه جمع، وذكره المؤلف في "الثقات" وقال: يغرب، ومَن فوقهما من رجال الشيخين. ورواه الحاكم في المستدرك (٧٩٠١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

في هذا الحديث تُعقب على الشيخ عز الدين بن عبدالسلام، حيث قال: ظنَّ بعض الجهلة أن المصاب مأجور، وهو خطأ صريح، فإن الثواب والعقاب إنما هو على الكسب، والمصائب ليست منها، بل الأجر على الصبر والرضا.

ووجه التعقب أن الأحاديث الصحيحة صريحة في ثبوت الأجر بمجرد حصول المصيبة، وأما الصبر والرضا فقدرٌ زائد يمكن أن يثاب عليهما زيادة على ثواب المصيبة.

قال القرافي: المصائب كفّارات جزمًا، سواء اقترن بها الرضا أم لا، لكن إن اقترن بها الرضا عظم التكفير، وإلّا قلّ. كذا قال. والتحقيق أن المصيبة كفارةٌ لذنب يوازيها، وبالرضا يؤجر على ذلك، فإن لم يكن للمصاب ذنب عوِّض عن ذلك من الثواب بما يوازيه.

فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٠٥).

(٢٧)

عن سعد بن أبي وقاص قال:

قلت: يا رسولَ الله، أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟

قال: "**الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثلُ فالأمثلُ من الناس، يُبتلَى الرجلُ على حسَبِ دينه، فإن كان في دينهِ صلابةٌ زيدَ في بلائه، وإن كان في دينهِ رقَّةٌ خُفِّفَ عنه، وما يَزالُ البلاءُ بالعبدِ حتى يمشيَ على ظهرِ الأرضِ ليس عليه خطيئة**".

مسند أحمد (١٤٨١) قال مخرجه الشيخ شعيب: إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. ومن رواية حذيفة رضي الله عنه صححه في صحيح الجامع (٩٩٤).

فيه أن الأجور على قدر المشقَّة.

قال ابن الجوزي: الحديث دالٌّ على أن القويَّ يحمَّل، والضعيف يرفَق به، إلا أنه كلما قويت المعرفة بالمبتلى هان البلاء الشديد، ومنهم من ينظر إلى أجر بلائه فيهون عليه، وأعلى هذين درجة من يرى أن هذا تصرف المبتلي في ملكه، وأرفع منه مَن تشغله محبة الحق عن دفع البلاء، ونهاية المراتب التلذُّذ بضرب الحبيب؛ لأنه عن اختياره نشأ.

التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٧/ ٢٧٠، ٢٧٢).

(٢٨)

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها، أن النبيَّ ﷺ دخلَ عليها فَزِعًا يقول:

"**لا إله إلا الله، ويلٌ للعربِ من شرٍّ قد اقترَب، فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه**". وحلَّقَ بإصبَعِهِ الإبهامِ والتي تليها.

قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسولَ الله، أنَهلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: "**نعم، إذا كَثُرَ الخَبَث**".

صحيح البخاري (٣٣٤٦) واللفظ له، صحيح مسلم (٢٨٨٠).

الخبَث: فسَّره الجمهور بالفسوق والفجور، وقيل: المراد الزنى خاصة، وقيل: أولاد الزنى. والظاهر أنه المعاصي مطلقًا.

ومعنى الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون.

شرح النووي على مسلم (١٨/ ٣) باختصار.

(٢٩)

عن عائشة قالت:

قلت: يا رسولَ الله، إن الله إذا أنزلَ سطوتَهُ بأهلِ الأرضِ وفيهم الصالحون، فيَهلِكون بهلاكِهم؟

فقال: "**يا عائشة، إن الله إذا أنزلَ سطوتَهُ بأهلِ نقمتهِ وفيهم الصالحون، فيُصابون معهم، ثمَّ يُبعَثون على نيّاتهم وأعمالهم**".

صحيح ابن حبان (٧٣١٤) قال محققه الشيخ شعيب: حديث صحيح لغيره. وكذا في صحيح الترغيب (٢٣١٢).

المراد من كان فيهم ممن ليس هو على رأيهم.

ثم بُعثوا على أعمالهم: أي بُعث كلُّ واحد منهم على حسب عمله، إن كان صالحًا فعقباه صالحة، وإلا فسيئة، فيكون ذلك العذاب طهرة للصالحين، ونقمة على الفاسقين.

ثم قال ابن حجر: الحاصل أنه لا يلزم من الاشتراك في الموت الاشتراكُ في الثواب أو العقاب، بل يجازى كلُّ أحد بعمله على حسب نيته.

فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٦٠، ٦١).

(٣٠)

عن مرداس الأسلمي قال: قال النبيُّ ﷺ:

"**يذهبُ الصالحون، الأولُ فالأول، ويبقى حُفَالةٌ كحُفَالةِ الشعير، أو التمر، لا يباليهم الله بالَة**".

قال أبو عبدالله [البخاري]: يقال: حُفالة، وحُثالة.

صحيح البخاري (٦٤٣٤).

بالة، ولا يلقي لها بالًا، وما باليت، كله من المبالاة، وهي الاكتراث بالشيء. والبال أيضًا الحال والفكر. قاله ابن حجر، بينما ذكر ابن بطال أن بالة مصدرٌ أصله بالية.

فتح الباري لابن حجر (١/ ٩٠)، والمصدر الآتي.

قال ابن بطال رحمه الله: ذهاب الصالحين من أشراط الساعة، إلا إنه إذا بقي الناس في حفالة كحفالة الشعير أو التمر، فذلك إنذار بقيام الساعة وفناء الدنيا.

وهذا الحديث معناه الترغيب في الاقتداء بالصالحين، والتحذيرُ من مخالفة طريقهم، خشية أن يكون مَن خالفهم ممن لا يباليه الله ولا يعبأ به.

شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٥٨).

وفيه أنه يجوز انقراض أهل الخير في آخر الزمان حتى لا يبقى إلا أهل الشرّ.

واستدلَّ به على جواز خلوّ الأرض من عالم حتى لا يبقى إلا أهل الجهل صرفًا.

فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٥٢).

(٣١)

عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال:

"الميتُ تحضرهُ الملائكة، فإذا كان الرجلُ صالحًا قالوا: اخرجي أيتها النفسُ الطيبةُ كانت في الجسدِ الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري برَوحٍ ورَيحانٍ وربٍّ غيرِ غضبان. فلا يَزالُ يُقالُ لها ذلك حتى تَخرج. ثم يُعْرَجُ بها إلى السماءِ فيُفتَحُ لها، فيقال: مَن هذا؟ فيقولون: فلان، فيُقال: مرحبًا بالنفسِ الطيبةِ كانت في الجسدِ الطيب، ادخلي

حميدة، وأبشري برَوحٍ ورَيحان، وربٍّ غيرِ غضبان. فلا يَزال يُقالُ لها ذلك حتى يُنتهَى بها إلى السماءِ التي فيها اللهُ عزَّ وجلّ.

وإذا كان الرجلُ السوءُ قال: اخرجي أيتها النفسُ الخبيثةُ كانت في الجسدِ الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميمٍ وغَسّاق، وآخَرَ مِن شكلهِ أزواج. فلا يَزال يُقالُ لها ذلك حتى تخرج. ثم يُعْرَجُ بها إلى السماءِ فلا يُفتَحُ لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبًا بالنفسِ الخبيثةِ كانت في الجسدِ الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنها لا تُفتَحُ لكِ أبوابُ السماء. فيُرسَلُ بها من السماء، ثم تصيرُ إلى القبر".

سنن ابن ماجه (٤٢٦٢) قال محققه الشيخ شعيب: إسناده صحيح، مسند أحمد (٨٧٦٩) قال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، السنن الكبرى للنسائي (١١٣٧٨).

فإذا كان الرجل صالحًا: أي مؤمنًا، أو قائمًا بحقوق الله تعالى، وحقوق عباده.

والفاسق مسكوت عنه، كما هو دأب الكتاب والسنة، ليكون بين الرجاء والخشية. وبه يندفع ما قاله ابن حجر أن مقابلته بالكافر تؤيد الأول، مع أن لفظ الكافر ليس في هذا الحديث، وإنما هو "الرجل السوء"، وهو المناسب أن يكون مقابلًا للصالح، ولعل ذلك وجه العدول عن "مؤمنًا" إلى "صالحًا" وإن كان المراد بالرجل السوءِ الكافرُ، لما يدلُّ عليه سياق الكلام...

مرقاة المفاتيح (٣/ ١١٧١).

(٣٢)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

"**إذا وُضعتِ الجنازة، واحتملها الرجالُ على أعناقهم، فإن كانت صالحةً قالت: قدِّموني، وإن كانت غيرَ صالحةٍ قالت: يا ويلها، أين يذهبون بها؟! يَسمعُ صوتَها كلُّ شيءٍ إلا الإنسان، ولو سمعَهُ صَعِق**".

صحيح البخاري (١٣١٤).

وضعت الجنازة: أي على السرير.

ويعني بالأعناق: الأكتاف.

صعق: غُشي عليه.

احتملها الرجال: دليل أن النساء لا يحملنها، لأنهن لا يلزمهن ما يلزم الرجال من المؤن، والقيام بالحقوق، ونصرة الملهوف، وإعانة الضعيف، وقد سقط عنهن كثير من الأحكام، عَذرهن الله بضعفهن، فقال: {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} [سورة النساء: ٩٨].

ثم قال ابن بطال: في هذا الحديث دليل أن روح الميت تتكلم بعد مفارقته لجسده، وقبل دخوله في قبره، والكلام لا يكون إلا من الروح، وقد جاءت آثار تدل على معرفةِ الميت مَن يَحمله ويُدخله في قبره.

شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٢٩٦، ٣٦٦).

(٣٣)

عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

"**أسرعوا بالجنازة، فإن كانت صالحةً قرَّبتموها إلى الخير، وإن كانت غيرَ ذلك كان شرًّا تضعونَهُ عن رقابِكم**".

صحيح مسلم (٩٤٤).

قال ابن هبيرة: في هذا الحديث من الفقه استحباب الإسراع بالجنازة؛ لأنها إن كانت من أهل الخير فإنه تُعُجِّل بها إليه، كما جاء في الحديث، وإن كانت من أهل الشرِّ استُرِيح من حملها، إلا أن هذا أمر من علم الله، فلا ينبغي لحامل الجنازة أن يكون إلا على الرجاء للجنازة بالخير.
الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ١١٠).

وقال الإمام النووي: فيه الأمر بالإسراع للحكمة التي ذكرها ﷺ. قال أصحابنا [الشافعية] وغيرهم: يستحب الإسراع بالمشي بها ما لم ينته إلى حدّ يُخاف انفجارُها ونحوه، وإنما يستحب بشرط ألّا يُخاف من شدته انفجارها أو نحوه. وحملُ الجنازة فرض كفاية.

قال أصحابنا: ولا يجوز حملها على الهيئة المزرية، ولا هيئة يخاف معها سقوطها.

قالوا: ولا يحملها إلا الرجال، وإن كانت الميتة امرأة؛ لأنهم أقوى لذلك، والنساء ضعيفات، وربما انكشف من الحاملِ بعضُ بدنه.

وهذا الذي ذكرناه من استحباب الإسراع بالمشي بها، وأنه مراد الحديث، هو الصواب الذي عليه جماهير العلماء.

شرح النووي على مسلم (٧/ ١٢).

(٣٤)

عن أبي قتادة قال:

كنّا مع رسولِ الله ﷺ يومًا، فمُرَّ عليه بجنازة، فقال:

"**مستريح، ومستراحٌ منه**".

قال: قلنا: أي رسولَ الله، ما مستريح، ومستراحٌ منه؟

قال: "**العبدُ الصالحُ يَستريحُ من نَصبِ الدنيا وهمِّها إلى رحمةِ الله، والعبدُ الفاجرُ يَستريحُ منه العبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابّ**".

مسند أحمد (٢٢٥٩٢) وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وهو عند البخاري ومسلم (٦٥١٢) (٩٥٠): "العبد المؤمن".

معنى الحديث أن الموتى قسمان: مستريح، ومستراح منه.

ونصَب الدنيا تعبُها.

وأما استراحة العباد من الفاجر معناه اندفاع أذاه عنهم. وأذاه يكون من وجوه، منها ظلمه لهم، ومنها ارتكابه للمنكرات، فإن أنكروها قاسَوا مشقةً من ذلك، وربما نالهم ضرره، وإن سكتوا عنه أثموا.

واستراحة الدوابِّ منه كذلك؛ لأنه كان يؤذيها، ويضربها، ويحملها ما لا تطيقه، ويجيعها في بعض الأوقات، وغير ذلك.

واستراحة البلاد والشجر فقيل: لأنها تمنع القَطر بمصيبته، قاله الداودي، وقال الباجي: لأنه يغصبها، ويمنعها حقها من الشرب وغيره.

شرح النووي على مسلم (٧/ ٢٠).

(٣٥)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

"**قال الله: أعددتُ لعبادِي الصالحينَ ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سَمِعت، ولا خَطرَ على قلبِ بشَر، فاقرؤوا إنْ شئتم: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}**" [سورة السجدة: ١٧].

صحيح البخاري (٣٢٤٤)، صحيح مسلم (٢٨٢٤) واللفظ للأول.

لعبادي الصالحين: القائمين بما أُمروا به.

ما لا عين رأت: أي لم تره عين من العيون كلها.

ولا أُذن سمعت: أي سمعت وصفَ ما أُعدَّ حقيقة، وأن [ما] وصفَهُ تعالى في كتابه، ووصفتِ الرسلُ، فهو عند الحقيقة فوق ذلك.

ويحتمل أن المراد: ما لا عين رأت من المبصرات، ولا أُذن سمعت من الأصوات والنغمات الطيبات.

وخصَّ الرؤيةَ والسمع لأن أكثر المحسوسات تُدرَكُ بهما، والإدراك ببقية الحواس أقلّ، فإذا لم يدرك بأعمِّ الحواسِّ إدراكًا، لم يدرك بأخصِّها.

ولا خطر على قلب بشر: أي لم يتصوره قلبٌ بخطوره عليه، إذ لا يَخطر عليه إلا ما يعرفه، أو يقيسه على ما يعرفه.

التنوير شرح الجامع الصغير (٧/ ٥٨٧).

(٣٦)

عن بشر بن شغاف، عن عبدالله بن سلام قال، وكنا جلوسًا في المسجد يوم الجمعة، فقال:

"إذا كان يومُ القيامةِ بعثَ الله الخليقةَ أمةً أمةً ونبيًّا نبيًّا، حتى يكونَ أحمدُ وأمتهُ آخرَ الأممِ مَرْكَزاً.

قال: **فيقوم، فيَتبَعهُ أمتهُ بَرُّها وفاجرُها، ثم يوضَعُ جسرُ جهنم، فيأخذون الجسرَ، فيَطمِسُ الله أبصارَ أعدائه، فيتهافتون فيها من شِمالٍ ويمين، وينجو النبيُّ ﷺ والصالحون معه، فتتلقاهم الملائكة، فتورِّيهم منازلهم من الجنة..."**.

جزء من حديث طويل رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٨٦٩٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وليس بموقوف، فإن عبدالله بن سلام على تقدمه في معرفة قديمة من جملة الصحابة، وقد أسنده بذكر رسولِ الله ﷺ في غير موضع. والله أعلم.

(٣٧)

عن ابن عباس رضيَ الله عنهما، قال: خطبَ النبيُّ ﷺ فقال:

"ألا إنه يُجاءُ برجالٍ من أمتي، فيؤخَذُ بهم ذاتَ الشِّمال، فأقول: يا ربِّ أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدَثوا بعدك، فأقولُ كما قال العبدُ الصالح: {وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. إِن تُعَذِّبْهُمْ

فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [سورة المائدة: ١١٨-١٧٧]، **فيقال: إن هؤلاءِ لم يزالوا مرتدِّين على أعقابهم منذُ فارقتَهم**".

جزء من حديث رواه الشيخان: صحيح البخاري (٤٧٤٠) واللفظ له، صحيح مسلم (٢٨٦٠).

المقصود بالعبد الصالح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

{وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ}: مشاهِدًا لأحوالهم، من كفرٍ وإيمان.

{فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ}: المراقب لأحوالهم.

{وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}: مطلع عليه، مراقب له.

ينظر إرشاد الساري (٥/ ٤١٨).

(٣٨)

عن عمرو بن العاص قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ جهارًا غيرَ سرٍّ يقول: "**إنَّ آلَ أبي فلانٍ ليسوا لي بأولياء، إنما وليِّيَ الله، وصالحُ المؤمنين**".

صحيح البخاري (٥٩٩٠)، صحيح مسلم (٢١٥)، مسند أحمد (١٧٨٠٤) قال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. واللفظ له.

معناه: إنما وليِّي من كان صالحًا وإن بَعُدَ نسبه مني، وليس وليِّي من كان غير صالحٍ وان كان نسبهُ قريبًا.

وأما قوله "جهارًا" فمعناه: علانية، لم يُخفِه، بل باح به، وأظهره، وأشاعه، ففيه التبرؤ من المخالفين، وموالاةُ الصالحين. والإعلان بذلك ما لم يُخَفْ ترتبُ فتنةٍ عليه.

شرح النووي على مسلم (٣/ ٨٨) مختصرًا.

(٣٩)

عن المغيرة بن شعبة قال:

لما قدمتُ نجرانَ سألوني فقالوا: إنكم تقرؤون {يَا أُخْتَ هَارُونَ} [سورة مريم: ٢٨]، وموسى قبلَ عيسى بكذا وكذا!

فلمّا قدمتُ على رسولِ الله ﷺ سألتهُ عن ذلك، فقال: "**إنهم كانوا يسمُّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم**".

صحيح مسلم (٢١٣٥).

يعني أن هارون المذكور في قوله تعالى {يَا أُخْتَ هَارُونَ} ليس هو هارون النبيَّ أخا موسى عليهما الصلاة والسلام، بل المراد بهارون هذا رجلٌ آخرَ مسمًّى بهارون؛ لأنهم كانوا يسمُّون أولادهم بأسماء الأنبياء والصالحين قبلهم.

تحفة الأحوذي (٨/ ٤٧٧).

واستدلَّ به جماعة على جواز التسمية بأسماء الأنبياء عليهم السلام، وأجمع عليه العلماء، إلا ما قدمناه عن عمر رضي الله عنه، وسبق تأويله. وقد سمى النبي ﷺ ابنه إبراهيم، وكان في أصحابه خلائقُ مسمَّون بأسماء الأنبياء.

قال القاضي: وقد كره بعضُ العلماء التسمي بأسماء الملائكة، وهو قول الحارث بن مسكين. قال: وكره مالك التسمي بجبريل وياسين.

شرح النووي على مسلم (١٤/ ١١٧).

(٤٠)

عن عائشة أمِّ المؤمنين، أن أمَّ حبيبةَ وأمَّ سلمة ذكرتا كنيسةً رأينَها بالحبشةِ فيها تصاوير، فذكرتا للنبيِّ ﷺ فقال:

"**إن أولئك إذا كان فيهم الرجلُ الصالحُ فمات، بنَوا على قبرِهِ مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور، فأولئك شرارُ الخلقِ عند الله يومَ القيامة**".

صحيح البخاري (٤٢٧)، صحيح مسلم (٥٢٨). واللفظ للأول.

قال ابن رجب رحمه الله: هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين، وتصويرِ صورهم فيها كما يفعله النصارى، ولا ريب أن كل واحد منهما محرم على انفراد، فتصوير صور الآدميين محرم، وبناء القبور على المساجد بانفراده محرم، كما دلت عليه النصوص...

ثم قال: فإن اجتمع بناء المسجد على القبور ونحوها من آثار الصالحين مع تصوير صورهم، فلا شك في تحريمه، سواء كانت صورًا مجسَّدة كالأصنام، أو على حائط ونحوه، كما يفعله النصارى في كنائسهم.

والتصاوير التي في الكنيسة التي ذكرتها أم حبيبة وأم سلمة أنهما رأتاها بالحبشة كانت على الحيطان ونحوها، ولم يكن لها ظل، وكانت أم سلمة وأم حبيبة قد هاجرتا إلى الحبشة.

فتصوير الصور على مثل صور الأنبياء والصالحين للتبرك بها والاستشفاع بها محرم في دين الإسلام، وهو من جنس عبادة الأوثان، وهو الذي أخبر النبي ﷺ أن أهله شرار الخلق عند الله يوم القيامة.

فتح الباري لابن رجب (٣/ ٢٠٢).

قال ابن حجر رحمه الله: وإنما فعل ذلك أوائلهم ليتأنَّسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم، ثم خلَف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فعبدوها، فحذَّر النبي ﷺ عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية إلى ذلك.

وفي الحديث دليل على تحريم التصوير، وحمل بعضهم الوعيدَ على من كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الأوثان، وأما الآن فلا. وقد أطنب بن دقيق العيد في ردِّ ذلك.

فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٢٥).

قال محمد خير: للفقهاء في عصرنا توسع في بيان حكم التصوير، لانتشاره، مع تحديد المحرَّم منه. ويؤخذ ما ذكر سابقًا في الاعتبار.

(٤١)

عن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ ﷺ:

"أن رجلًا قَتلَ تسعةً وتسعين نفسًا، فجعلَ يَسألُ هل له من توبة؟ فأتَى راهبًا، فسأله، فقال: ليست لكَ توبة، فقتلَ الراهب، ثم جعلَ يسأل، ثم خرجَ من قريةٍ إلى قريةٍ فيها قومٌ صالحون، فلمّا كان في بعضِ الطريقِ أدركهُ الموت، فنأى بصدره، ثم مات. فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذاب، فكان إلى القريةِ الصالحةِ أقربَ منها بشبر، فجُعِلَ من أهلِها".

صحيح مسلم (٢٧٦٦).

قال الحافظ ابن حجر: في الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر، حتى مِن قتل الأنفس، ويُحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفَّل برضا خصمه.

قال الطيبي: إذا رضي الله عن عبده أرضى خصومه، وردَّ مظالمه، ففي الحديث ترغيب في التوبة، ومنعُ الناس عن اليأس، ورجاءٌ عظيم لأصحاب العظائم.

وقال عياض في الحديث: إن التوبة تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب، وهو وإن كان شرعًا لمن كان قبلنا، وفي الاحتجاج به خلاف، لكن ليس هذا موضعَ الخلاف، لأن موضع الخلاف إذا لم يردْ في شرعنا تقريره وموافقته، وأما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف، ومن الوارد في ذلك قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [سورة النساء: ٤٨]، فكل ما دون الشرك يجوز أن يغفر له... مرعاة المفاتيح (٨/ ٢٢).

(الحمدُ لله)

المراجع[1]

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان/ ترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارسي؛ حققه وخرَّج أحاديثه شعيب الأرناؤوط.- ط٢.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٣-١٤١٤هـ.

الأدب المفرد/ البخاري؛ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.- ط٣.- بيرو: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩ هـ.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري/ القسطلاني.- القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣٢٣ هـ.

الإفصاح عن معاني الصحاح/ يحيى بن هبيرة الشيباني؛ تحقيق فؤاد عبدالمنعم أحمد.- الرياض: دار الوطن، ١٤١٧ هـ.

تحفة الأحوذي/ المباركفوري.- بيروت: دار الكتب العلمية.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد/ ابن عبدالبر القرطبي؛ تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وآخرين.- الرباط: وزارة الأوقاف، ١٣٨٧ هـ...

التنوير شرح الجامع الصغير/ الصنعاني؛ تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم.- الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤٣٢ هـ.

---

[1] مراجع التحقيق ومعلوماتها معظمها من المكتبة الشاملة.

التوشيح شرح الجامع الصحيح/ جلال الدين السيوطي؛ تحقيق رضوان جامع رضوان.- الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩ هـ.

التوضيح لشرح الجامع الصحيح/ ابن الملقن؛ تحقيق دار الفلاح للبحث.- دمشق: دار النوادر، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م.

التيسير بشرح الجامع الصغير/ المناوي.- ط٣.- الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، ١٤٠٨ هـ.

جامع العلوم والحكم/ ابن رجب الحنبلي؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس.- دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢ هـ.

السلسلة الصحيحة/ محمد ناصر الدين الألباني.- بيروت: المكتب الإسلامي.

سنن ابن ماجه/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.- القاهرة: دار الحديث، د.ت.

سنن أبي داود/ تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قره بللي.- دمشق: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.

سنن الترمذي (الجامع الصحيح)/ تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة.- القاهرة: دار الحديث، د.ت.

السنن الكبرى/ أبو بكر البيهقي؛ تحقيق محمد عبدالقادر عطا.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ

السنن الكبرى للنسائي/ تحقيق حسن عبدالمنعم شلبي.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ.

شرح صحيح البخاري/ لابن بطال؛ تحقيق ياسر إبراهيم.- الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣م.

شرح مصابيح السنة/ ابن الملَك؛ تحقيق لجنة مختصة من المحققين.- الكويت: وزارة الأوقاف، ١٤٣٣ هـ.

شرح النووي على صحيح مسلم.- ط٢.- بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٩٢ هـ.

صحيح ابن حبان = الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان.

صحيح ابن خزيمة/ تحقيق محمد مصطفى الأعظمي.- بيروت: المكتب الإسلامي.

صحيح الأدب المفرد/ محمد ناصر الدين الألباني.- ط٤.- الطائف: دار الصدّيق، ١٤١٨ هـ.

صحيح البخاري/ تحقيق محمد زهير الناصر.- دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.

صحيح الترغيب والترهيب/ محمد ناصر الدين الألباني.- الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١ هـ.

صحيح الجامع الصغير وزيادته/ محمد ناصر الدين الألباني.- ط٣.-بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ

صحيح سنن ابن ماجه/ محمد ناصر الدين الألباني.

صحيح مسلم/ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.- بيروت: دار إحياء التراث العربي.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري/ بدر الدين العيني.- بيروت: دار إحياء التراث العربي.

فتح الباري شرح صحيح البخاري/ ابن حجر العسقلاني.- بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري/ ابن رجب الحنبلي؛ تحقيق مجموعة من المحققين.- المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧ هـ.

فيض القدير شرح الجامع الصغير/ المناوي.- القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦ هـ.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ نور الدين الهيثمي؛ تحقيق حسام القدسي.- القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ.

مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ المباركفوري.- بنارس، الهند: الجامعة السلفية، ١٤٠٤ هـ.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ الملا علي القاري الهروي.- بيروت: دار الفكر، ١٤٢٢هـ.

المستدرك على الصحيحين/ الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

مسند أبي يعلى الموصلي/ تحقيق حسين سليم أسد.- دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ.

مسند الإمام أحمد بن حنبل/ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين.- دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ.

معالم السنن: وهو شرح سنن أبي داود/ الخطابي.- حلب: المطبعة العلمية، ١٣٥١ هـ.

المفاتيح في شرح المصابيح/ المظهري؛ تحقيق لجنة مختصة من المحققين.- الكويت: وزارة الأوقاف، ١٤٣٣هـ

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم/ لأبي العباس القرطبي؛ تحقيق محيي الدين مستو وآخرين.- دمشق؛ بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٧ هـ.

الميسر في شرح مصابيح السنة/ التوربشتي؛ تحقيق عبدالحميد هنداوي.- ط٢.- الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٩ هـ.